دعا نجيب نصار (محرر جريدة الكرمل) الى عقد « مؤتمر لا صهيوني » في نابلس يضم جميع الفلسطينيين ردا على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي كان متوقعا عقده في فينا في ايلول ١٩١٣ . ووجدت دعوة نصار تجاوبا في اوساط المثقفين من ابناء فلسطين ، فاخذنا نسمع عن جمعية للشبيبة الفلسطينية في الاستانة تؤيد عقد المؤتمر الفلسطيني لمقاومة الصهيونية(٨٢). كما لاقت تأييدا من بعض المتنورين في متصرفية القدس(٨٤).

واستمر نصار في الدعوة الى ابراز الشخصية الفلسطينية ، وتمييزها عن غيرها وان فلسطين بما فيها من اعيان ومتعلمين تؤلف جامعة ــ رابطة ــ قومية قوية لا يصح معها ان تكون عالة على بيروت او دمشق او العراق ، وحتى على الحكومة العثمانية . ثم خلص الى القول : « . . . ما لنا وللبيروتيين ، نحن الفلسطينيين على شفا جرف ، فالخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهددنا من كل صوب ، والامة التي تنازعنا البقاء في وطننا برهنت على كونها امة حية قوية تعمل لنفسها وتعتمد على نفسها»(٨٥). ولم يكف نصار عن الدعوة الى ابراز الشخصية الفلسطينية ، ففي شباط ١٩١٤ دعا اهل فلسطين الى تاليف جامعة عربية فرعية في فلسطين تنبثق عن الجامعة العثمانية : « . . . يكون هدفها انقاذ فلسطين من خطر الصهيونيه بتاليف القلوب وجمع الكلمة » . ثم حذر من انه اذا تالفت جامعة غير عربية في فلسطين ــ يقصد الصهيونية ــ هددت الجامعة العربية سياسيا واقتصاديا وبالتالي الجامعة العثمانية(٨٦). وطلب ان تقوم الجامعة المقترحة بافهام العرب الاضرار التي ستلحق بهم من سيطرة الصهيونية على فلسطين ، وافهام الاتراك ان ضياع فلسطين لا يتفق مع مصالح الدولة العثمانية ، ثم دعا الفلسطينيين ان يأخذوا زمام امورهم بأيديهم قائلا : « . . . وليعلم الفلسطينيون ان كل من يهمل شؤونه اهملته الناس»(٨٧). ويرى نصار ان الواجب يحتم على الفلسطينيين مقاومة الصهيونيين واخراجهم من البلاد لان هذا الواجب « اعظم واشرف من واجب الصهيونيين المتمثل باخراج الفلسطينيين من ديارهم لانه دفع تعد ومنع ظلم»(٨٨).

ولعل من المفيد ونحن بصدد بحث موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية ان نتعرف على وجهات النظر(٨٩) التي كانت سائدة في اوساط متنوري المتصرفية والذين تفاعلوا مع الاحداث في تلك الفترة الحاسمة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى .

كان من راي حافظ السعيد (مبعوث يافا ، واحد اعيانها ، وعضو حزب اللامركزية ومن انصار حزب الحرية والائتلاف) وهو هنا يتبنى راي اللامركزية في موضوع الهجرة « . . . انني ارى ان الهجرة الصهيونية قد تكون مضرة وقد تكون غير مضرة ، فان كانت مربوطة بقيود وشروط تتكفل بدفع الضرر فلا بأس منها كأن تنظر الحكومة لمقدار نفوس فلسطين ، سيما لواء القدس فيها ومقدار سعة الاراضي وتنظر لمقدار الزايد فيها عن كفاية السكان . . . فتسمح ببيعه للمهاجرين الذين يدخلون في التابعية العثمانية . . . واما ان كان حبل الاستعمار ملقى على غارب المستعمر في الهجرة والعدد والمقدار فلا يبعد والحالة هذه ان يستولي المستعمرون وهم متلبسون باجنبيتهم على اكثر الاراضي والتجارة . . . فالظن اذا بأنهم ــ الاهالي ــ يستفيدون بمجرد النظر لاعمال جيرانهم الصهيونيين هو في رايي ظن لا يتحقق وكلام لا معنى له » .

اما خليل السكاكيني (مدير المدرسة الدستورية في القدس ، ومن اقطاب النهضة الارثوذكسية في المتصرفية) ، فانه يرى « . . . الصهيونيون يريدون أن يملكوا فلسطين وهي قلب البلاد العربية . . . ويقسموا الامة العربية الى قسمين يصعب معهما اتحادها وتضامنها » . واما فيض الله العلمي (مبعوث المتصرفية واحد اعيانها) فقد وصف الواقع المؤلم آنذاك بقوله « . . . اذا دمنا على حالتنا فلا بد ان يأتي يوم يصبحون فيه اهل البلاد ونحن غرباء عنها » . واما جميل الحسيني (من اعيان القدس المقيمين في الآستانة والمشتغلين في الحركة العربية) فكان من المعارضين للحركة الصهيونية ومن الداعين لمقاومتها ، « . . . المسألة الصهيونية من امهات المسائل التي يجب علينا ان